

سبط اسرائيل». وهناك رواية اخرى تقول انهم قبيلة اعتنقت اليهودية في وقت متأخر، خلال القرون الوسطى، على يد بعض التجار اليهود القادمين الى اثيوبيا من مصر او اليمن، وهذه رواية يرجحها الباحثون الانتولوجيون.

والفالاشا «برهان حيّ على ان خرافة النقاء العنصري التي تروج لها الصهيونية، لا اساس لها من الصحة»^(٧)؛ فهم، من الناحية البدنية، افريقيون يشبهون غيرهم من الاثيوبيين، ويتحدثون لغتهم الامهرية ولا يعرفون شيئاً عن اللغة العبرية. اما ثقافتهم الدينية، فهي ثقافة قديمة تعود لاصول تسبق الحاخامية، مبنية على التراث الشفهي. وهم شديدي التمسك بدينهم؛ غير انهم يختلفون تماماً عن اكثرية يهود العالم من حيث يهوديتهم؛ فكتابهم المقدس هو التوراة المكتوب بلغة اثيوبية قديمة ذات أصل سامي هي «الجعزية»؟ وهم يشرحون هذا الكتاب بالأمهرية. اما باقي الكتب اليهودية الاخرى، مثل المشناة او التلمود، فهم يجهلونها جهلاً مطلقاً، ويرفضون الاعتراف بها بعد ان اخبروا بوجودها. وهذا ما يجعل منهم، عملياً، حالة خاصة جداً في اليهودية المعاصرة، بالاضافة إلى حالات أخرى خاصة تميز يهود الهند والصين واليهود السود.

ولتمييز عقيدتهم عن اليهودية الارثوذكسية السائدة، التي هي الدين الرسمي لدولة اسرائيل، فان السلطات الرسمية والسلطات الدينية تنظر اليهم نظرة أقرب الى الشك؛ فهم، من جهة، ناقصو الايمان، او ليسوا يهوداً بالمعنى الحاخامي - التلمودي للكلمة، وهم، من جهة ثانية، شأنهم شأن المجتمعات البدائية، منغلَقون على انفسهم ولا يريدون الاندماج باليهود الآخرين، يتزاوجون فيما بينهم ويجددون ثقافتهم التقليدية الخاصة بهم، ويصعب على الصهيونية دمجهم في الاطار العام للدولة والمجتمع.

السوسولوجيون الصهيونيون، بدورهم، يعولون على عامل الزمن دوراً كبيراً في امتصاص الفالاشا وحل مشكلتهم، فهم ينتظرون من الجيل الجديد ان يكون «اقل مقاومة واكثر اندماجاً ما دام سينشأ ويتعلم في مدارس الدولة الصهيونية ويتشرب ثقافتها ويعمل، من ثم، في مؤسساتها. انهم ينتظرون، بمعنى آخر، موت الفالاشا الذين هُجروا الى اسرائيل ليتم استيعاب ابنائهم واحفادهم وصهينتهم.

ان الطريقة التي يتم بها الحديث عن الفالاشا، من قبل الصهيونيين، تتعمد الايحاء، وحتى التصريح، بأنهم عانوا تاريخياً من العذاب والاضطهاد في اثيوبيا، وهم يقتطعون، لاثبات ذلك، حوادث جزئية بسيطة فيذكرون، مثلاً، ان الفالاشا كانت لهم مملكة قوية في الماضي، وانهم، منذ القرن السابع عشر، يعانون من سيطرة السلطة الاثيوبية. وليس مجالنا هنا، تحليل تاريخ تكون المجتمع الاثيوبي والدولة الاثيوبية. غير اننا يمكن ان نكتفي بالقول ان المتتبع لتاريخ اثيوبيا، ولعملية الدمج الكبرى والتكوين التاريخي لشعبها، يلاحظ بوضوح كبير ان الوحدة الاثيوبية قد تم الوصول اليها عبر سلسلة من الصراعات بين مجموعات القبائل المتجاوزة ذات السيادة المحلية، وان الصراع على النفوذ بين هذه القبائل قد استمر قرونًا عديدة، بحيث ان كل قبيلة كانت تؤسس ملكها الخاص او «دولتها» الخاصة على المنطقة التي تقيم عليها، وتفرض على القبائل الاخرى، حولها، ان تعترف بسلطتها وان تنشئ معها نوعاً من الحلف المشترك. البارز في هذا التاريخ، ان القبائل الامهرية، ربّما لأسباب جغرافية لكونها تتمركز في اواسط اثيوبيا وربما لأسباب عديدة وكذلك تنظيمية وتربوية، تمكنت من ان توسع سلطتها، وان تفرض هيمنتها على مختلف القبائل حتى تمكنت، في آخر المطاف، من ان تسيطر على الاطراف البعيدة في الشمال